عن أبي هريرة ﷺ قال:

١ قال النبيُّ ﷺ: «مَن حَجَّ هذا البيتَ فلم يَرفُثْ، ولم يفسُقْ، رجَعَ كيومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ»(١٣٠).

(١٣٠) رواه البخاريُّ (١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠).

آيات

- ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦].
- ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

الراوي

هو: عبدُ الرحمنِ بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ رغبةً في العلم، وكان يذهب معه أينما ذهب، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، وأكثرهم رواية للأحاديث؛ «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب ﷺ واليًا على البَحرينِ، ثم بعد ذلك عاد وسكَن المدينة وانشغل برواية الحديث، وتعليم الناس أمور دينهم، وتُوفِّي في المدينة سنةَ (٥٨هـ)(١).

خلاصة

الحجُّ المبرور كفَّارةٌ للذنوب، فمن حجَّ ولم يأتِ بشيءٍ من مفسِدات الحجِّ من الجماع والمعاصي وغيرها، رجَع إلى أهله بلا ذنْبٍ كيوم ولدتْه أمه.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يُرشِد النبيُّ ﷺ إلى بابٍ من أعظم أبواب تكفير الذنوب، وهو الحجُّ المبرور، فيخبِر ﷺ أنَّ من حجَّ حجًّا سليمًا مقبولًا، مُحِيَت ذنوبُه وعاد من حَجِّه مطهرًا كيوم ولدته أمه، والحج المبرور هو الذي لم يأتِ فيه صاحبُه بشيء من محظورات الحجِّ، كالرَّفَثِ وهو ما يريده الرجل من المرأة من جِماعٍ ومقدِّماته، أو الفسوق وهو الخروج عن الطاعة وارتكاب المعاصي.

٢ والحديثُ يشملُ الحجَّ والعمرةَ معًا؛ بدليل رواية مسلم: «مَن أتى هذا البيت»، وقوله ﷺ: «العمرةُ إلى العمرة كفَّارةٌ لما بينَهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةُ» متفق عليه(١٣١).

٣ وهذه المغفرة إنما هي عامَّة في حقوق الله تعالى؛ فإن الله عزَّ وجلَّ يَغفرها، أما حقوق الآدميين فلا تَسقُط إلا باسترضاء الخصوم، أو أداء الحقوق لأصحابها(١٣٢).

(١٣١) رواه البخاريُّ (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، عن أبي هريرة ﷺ.

(١٣٢) انظر: «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» للكرمانيِّ (٩/ ٣١).

استنباط

١ استَخدم النبيُّ ﷺ التشبيه في قوله: «رجع كيوم ولدته أمه» لتوكيد معنى المغفرة وتكفير السيئات. فيحسُن بالداعية والمُربِّي أن يستخدم تلك الوسائل البلاغية وضرب الأمثال في تقريب المعاني وتوكيدها.

٢ أرشد النبيُّ ﷺ إلى بابٍ عظيم من أبواب مغفرة الذنوب، وهو الحج المبرور، وأيُّنا لا يحتاج إلى مغفرة الذنوب وتكفير السيئات؟!

٣ في الحديث التأكيدُ على مكارم الأخلاق، وأنها سببٌ في قَبول العمل أو رَدِّه.

٤ إياك وظلمَ العبادِ وهضْمَ حقوقهم؛ فإنَّ الذنوب المتعلقة بهم لا تَسقط إلَّا بردِّ المظالم وترضيتهم، أما ما اقترفتَه في حقِّ اللهِ سبحانه - غير الشرك - فداخلٌ في المشيئةِ؛ إن شاء عفا وإن شاء عذَّب.

٥ من مقاصد الحج تذكيرُ الإنسانِ بالآخرة؛ حيث يخرج الإنسان عن زِينته ومكانته ليَرتدِيَ إزارًا ورداءً كالكفن، وينعزل عن الدنيا ولذَّاتها، ووقف على عرفات في جموع الحَجيج كما يجتمع الناسُ في أرض المحشر، الجميع سواسية، لا فرق بين كبيرٍ وصغيرٍ ووزيرٍ وخَفيرٍ. فإذا أدرك الحاجُّ ذلك عاد زاهدًا في الدنيا مُستعدًّا للآخرة.

قال الشاعر:

إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ أَتَيْتُ مُلَبِّيًا ... فَبَارِكْ إِلَهِي حَجَّتِي وَدُعَائِيَا

قَصَدْتُكَ مُضْطَرًّا وَجِئْتُكَ بَاكِيًا ... وَحَاشَاكَ رَبِّي أَنْ تَرُدَّ بُكَائِيَا

كَفَانِيَ فَخْرًا أَنَّنِي لَكَ عَابِدٌ ... فَيَا فَرْحَتِي إِنْ صِرْتُ عَبْدًا مُوَالِيَا

إِلَهِي فَأَنْتَ اللَّهُ لا شَيْءَ مِثْلُهُ ... فَأَفْعِمْ فُؤَادِي حِكْمَةً وَمَعَانِيَا

أَتَيْتُ بِلا زَادٍ وَجُودُكَ مَطْعَمِي ... وَمَا خَابَ مَنْ يَهْفُو لِجُودِكَ سَاعِيَا

إِلَيْكَ إِلَهِي قَدْ حَضَرْتُ مُؤَمِّلًا ... خَلاصَ فُؤَادِي مِنْ ذُنُوبِي مُلَبِّيَا